عمارة بلاد وادي الرافدين

العصور الحجرية

د.مريم عمران موسى

العمارة في دور العبيد :

أطلقت هذه التسمية نسبة إلى الموقع الأثري المسمى تل العبيد الواقع جنوب العراق على بعد 20 كم تقريبا من مدينة الناصرية وعلى مقربة من مدينة أور و سمي بالعبيد تصغير لكلمة عبد  .اكتشف هذا الموقع من قبل الدكتور H.R.Hall من المتحف البريطاني أعقب ذلك تنقيب الموقع من قبل بعثة بريطانية من المتحف البريطاني وجامعة بنسلفانية بإشراف ليونارد و ولي وهول ومن خلال ذلك عرف هذا الدور وشخصت ملامحه وكشف فيه عن فخار جديد لم يكن له مثيل من قبل فسمي فخار العبيد نسبة للموقع . وقد اقر مجمع العلماء الأثريين 1932 هذه التسمية وأصبحت كل صناعة شبيهة بأواني العبيد تعرف باسم العبيد فقد تلك السنة سواء ما كشف في شمال العراق أو في جنوبه.

أعقب ذلك اكتشافات لفخار العبيد في أماكن متفرقة من العراق في الشمال والجنوب ومنها مدينة اريدو الواقعة غرب مدينة الناصرية وتعرف بقاياها اليوم أبو شهرين جرت فيها تنقيبات سريعة وغير منتظمة من قبل باحثين في الأعوام 1854 من قبل J.E.Jaylor وفي 1918 من قبل Champel Thompson و1919 من قبل H.R.Ham ثم قامت مديرية الآثار بالتنقيب في اريدو في الأعوام 1946 – 1949 برئاسة المرحوم فؤاد وقد توصلت أعمال التنقيب في الكشف عن تسع عشره طبقة أثرية ابتداءا من الطبقة (64). ووجد فيها نوعا جديدا من الفخار في طبقات أثرية تحت الطبقات التي وجد فيها فخار العبيد في الموقع نفسه أي أن فخار اريدو أقدم زمنا من فخار العبيد (65) . و في عام 1935 – 1937 عثرت بعثة التنقيب الألمانية العاملة في الوركاء في الموقع الأثري المسمى حاج محمد الواقع على بعد 18 كم جنوب شرق الوركاء على نوع اخر من الفخار أطلق عليه تسمية فخار حاج محمد إلى نسبة شيخ المنطقة وقد وجد فخار حاج محمد في اريدو أيضا في طبقة أثرية تقع فوق طبقات فخار اريدو وتحت فخار العبيد أي فخار حاج محمد وجد ضمن تسلسل اريدو في الطبقات 14-12. وفي عام 1960 كشف عن نماذج مشابهة لفخاريات العبيد من نوع حاج محمد في الموقع المسمى رأس العمية والواقع شمال مدينة كيش في نقطة تتوسط نهري دجلة والفرات . في الأعوام التالية 1976كشفت أعمال التنقيب في احد المواقع الأثرية المسمى " العويلي " والواقع على بعد 10 كم جنوب شرق لارسة ( سنكره ) نقبت فيه البعثة الفرنسية العاملة في مدينة لارسة وكشفت فيه عن فخار يعود إلى حقبة تسبق فخار اريدو وجدت في أسفل طبقات هذا الموقع بالإضافة إلى الكشف عن بقايا وحدات بنائية. وقد انتشرت فخاريات العبيد بمراحله المختلفة تم رصدها من خلال الصناعة الفخارية في مواقع متعددة مثل تبه كورا والعقير الذي يقع جنوب بغداد نقبت فيه مديرية الآثار العامة 1940 – 1941 وكشفت فيه عن مستوطن عبيدي يضم مجموعة من البيوت المشيدة باللبن وقد أشارت الدراسات التي أجريت على فخار اريدو وحاج محمد ورأس العمية والمواقع الأخرى على أنها تمثل طابع او نمط فخاري واحد مع بعض التغيرات الطفيفة , علماً بأن التنقيبات كشفت 1976ً في احد المواقع الاثرية جنوب العراق والمسمى تل العويلي الذي اكتسب اهمية كبيرة في الدراسات الاثارية وقد اقترن باقدم ادوار عصر العبيد لان البعثة العاملة فيه وجدت ان الطبقات الاكثر قدما فيه كانت مختلفة ومتميزة عن الطبقات العائدة الى العبيد الاول وقد اعتبرت في نظرها ممهدة الى العبيد الاول ولذلك فان العمل في تل العويلي استوجب تقسيم اخر لعصر العبيد :

1. العبيد صفر " العويلي "
2. العبيد الأول " اريدو "
3. العبيد الثاني " حاج محمد ، رأس العمية"
4. العبيد الثالث " العبيد القديم ، اريدو 9-8 ، تبه كورا ، 19-17 ، اور ، العبيد
5. العبيد الرابع " العبيد المتأخر ، اريدو 7- 6 تبه كورا ، 16-13، الوركاء

لقد وجدت الآثار المختلفة الممثلة لدور العبيد بأدواره المختلفة في جميع إنحاء العراق , كما أشارت اعمال التنقيب التي جرت في بعض المدن الاثرية المشهورة بأنها شيدت فوق بقايا قرى من دور العبيد ومنها مدينة أور ، نفر ، الوركاء ، لكش وغيرها.

كما وجدت في عدة جهات من الشرق الأدنى ومنها منطقة الخليج وقد اثأر وجودها اهتمام الباحثين في عصور ما قبل التاريخ إلا إن الدراسات التي أجريت اعتمادا" على التحليل الكيميائي للعناصر المكونة لطينة الفخار أو الألوان المستخدمة في زخرفته أثبتت بأن فخار العبيد الذي وجد في المواقع الخليجية انتقل معظمه من المواقع العبيدية في جنوب العراق وبشكل خاص من اريدو وأور أي إن الموطن الأصلي لفخار العبيد هو جنوب العراق وان المواقع العبيدية في الخليج تؤكد الصلات الواسعة والمصالح المشتركة بين الطرفين منذ الفترة المبكرة من عمر حضارة الإنسان .